كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) **أُمّياً** لا يقرأ ولا يكتب لا يستدعي هذا التعبير أنّه (صلّى الله عليه وآله) لم يكن يعرف ذلك، وإنما المقصود أنّه لم يتحقّق أو يثبت أنه كتب بخط يده منه قراءةً ولا كتابة، لا قبل بعثته ولا بعدها ، وذلك في حكمة القرآن كي لا يرتاب المبطلون.

وكان في ذلك مصلحة إعجاز القرآن : (**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**)، والآية تدلّ : على أنّه لم يتعارف منه (صلّى الله عليه وآله) قراءةً ولا كتابة، ولم يُعهد منه ذلك، ولعلّه (صلّى الله عليه وآله) كان يتظاهر بالأمّية؛ حفظاً على سلامة القرآن من التشكيك فيه، ودعماً لموضع إعجازه، حيث صدر على يد أمّي لم يُعهد منه كتابةً ولا قراءة.

قال الطوسي : (**قال المفسّرون : لم يكن يُحسن الكتابة ، قال : والآية لا تدلّ على ذلك ، بل فيها أنّه** (صلّى الله عليه وآله) لم يكن يكتب الكتاب ، وقد لا يكتب الكتاب من يُحسنه ، كما لا يكتب من لا يُحسنه . (التبيان ج٨ ، ص١٩٣) ؛ **ذلك لأنّ القدرة على الكتابة والقراءة كمال ، ولا يخلو النبيّ من الكمال ، كما أنّ الأمّية عيب، ونقص يتحاشاه مقام النبوّة الكريم.**

إذاً، كان (صلّى الله عليه وآله) بحاجة إلى مَن يكتُب له رسائله إلى جنب كتابة الوحي القرآني لنازل عليه ، ومن ثمّ استخدم مَن كان بمكّة آنذاك ممّن يعرف الكتابة، وهكذا بعدما هاجر إلى المدينة.

وأوّل مَن كتب له بمكّة وأدامها له مدّة حياته الكريمة هو : **الإمام عليّ بن أبي طالب** (عليه السلام). وقد كان النبي (صلّى الله عليه وآله) حريصاً على أن لا يفوت عليّاً شيءٌ من القرآن، فكان إذا نزل عليه الوحي ـ أحياناً ـ وهو غائب، دعا بعض كُتّابه ليكتبه، ثمّ إذا حضر عليٌّ أعاده عليه ليكتبه أيضاً، ومن ثمّ لم يكن من كتبة القرآن أجمع ولا أحفظ من عليّ (عليه السلام).

قال سُليم بن قيس الهلالي ـ وقد عدّه النجاشي من الطبقة الأُولى من زمرة السلف الصالح ـ : جلست إلى عليّ (عليه السلام) بالكوفة في المسجد والناس حوله، فقال: (**سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله ، فو الله ما نزلت آية من كتاب الله إلاّ وقد أقرأنيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعلّمني تأويلها**، فقال ابن الكوّاء: فما كان ينزل عليه وأنت غائب ؟ فقال (عليه السلام) : **بلى، يحفظ عليّ ما غبتُ عنه، فإذا قدمتُ عليه قال لي : يا عليّ، أنزل الله بعدك كذا وكذا، فيقرأنيه، وتأويله كذا وكذا فيعلّمنيه ..**) ، والتأويل هنا تفسير مواضع إبهام الآية .

وأوّل مَن كتب الوحي لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) عند مَقدمه المدينة هو : أُبَي بن كعب ، الصحابي الجليل ، قال ابن سعد : كان أُبَي يكتب في الجاهلية قبل الإسلام ، وكانت الكتابة في العرب قليلة ، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

قال ابن عبد البرّ : أوّل مَن كتَب لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) عند مَقدمه المدينة أُبَي بن كعب ، وهو أوّل مَن كتَب في آخِر الكتاب :

وهو الذي أمر الله رسوله أن يقرأ عليه القرآن ويعرضه عليه، وكان ممّن عُرضت عليه الفرصة الأخيرة ، ومن ثمّ تولّى المرجعية الأعلى لِلجْنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، كان هو المُملي عليهم، وكان إذا تداروُوا في شيء يُصحّحه لهم .

وكان زيد جاراً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالمدينة ، كان إذا لم يحضر أُبيّ دعاه ليكتب له ، ولاسيّما رسائله بالعبرية ، ثمّ تداوم هو وأُبيّ الكتابة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

أخرج ابن داود السجستاني بإسناده إلى ثابت عن زيد بن ثابت قال ، قال النبي (صلّى الله عليه وآله) : (أتُحسن السريانية ، فإنّها تأتيني كتُب ؟) قلت : لا ، قال : فتعلّمتها ... فتعلّمته في أقلّ من نصف شهر

والظاهر أنّ الصحيح هي العبرية ؛ لأنّها كانت لغة اليهود الدارجة ، وبها كانت كتاباتهم آنذاك .

وهؤلاء الثلاثة . عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأُبَي بن كعب ، وزيد بن ثابت . كانوا هم العمدة في كتابة الوحي ، وكانوا حضوره (صلّى الله عليه وآله) في جميع أيّامه أو يتناوبون .

أمّا غيرهم ممّن عدُّوهم في كُتّاب الوحي ، فلم يكونوا بتلك المرتبة .

وكان الكاتب لعهود رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذا عاهدَ ، وصُلحه إذا صالح : عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

قال : وممّن كتب لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) : الخلفاء الثلاثة ، والزبير بن العوّام ، وخالد ، وأبان ابنا سعيد بن العاص ، وحنظلة الأسيدي ، والعلاء بن الحضرمي ، وخالد بن الوليد ، وعبد الله بن رواحة ، ومحمّد بن مسلمة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي سلول ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهم . أو جهيم . بن الصلت ، ومعيقيب بن أبي فاطمة ، وشرحبيل بن حسنة ، وهكذا ذكر ابن عبد البرّ في الاستيعاب.

والظاهر أنّ هؤلاء كانوا أهل قراءة وكتابة في العرب آنذاك ، فكان النبي (صلّى الله عليه وآله) يستخدمهم أحياناً لكتاباته إذا لم يحضر كُتّابه الرسميّون .

وقد عدّ أبو عبد الله الزنجاني أكثر من أربعين شخصاً كانوا يكتبون لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والظاهر أنّهم من هذا القبيل .

قال ابن الأثير : وأوّل مَن كتب له (صلّى الله عليه وآله) من قريش : عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثمّ ارتدّ ورجع إلى مكّة ، فنزل فيه : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ).

يقال : إنه (صلّى الله عليه وآله) أملى عليه ذات يوم : (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ** . إلى قوله : **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ**) فجرى على لسان عبد الله بن سعد : (**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**) فأملاه النبي (صلّى الله عليه وآله) كذلك ، وقال : **هكذا أُنزل** ، فارتدّ عدوّ الله وشكّ في الأمر ، زاعماً أنّه ينزل عليه الوحي كما ينزل على النبي (صلّى الله عليه وآله) ، وهدر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دمه .

فلمّا كان يوم الفتح جاء به عثمان . وهو أخوه من الرضاعة . مستعفياً له ، فسكت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فأعاد عليه فسكت ، لعلّه مَن ينتدب فيقتله ، حتّى أعفاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعثمان ، وهكذا في الرواية عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : (**نزلت في ابن أبي سرح**).

أدوات الكتابة

كان الكتَبة على عهده (صلّى الله عليه وآله) يكتبون ما نزل من القرآن على ما تيسّر لهم الكتابة عليه ، من : العُسُب ، واللِّخاف ، والرقاع ، وقطع الأديم ، وعظام الأكتاف والأضلاع ، وأحيانا القراطيس المهيّأة لهم ذلك العهد .

ثمّ يوضع المكتوب . أيّاً كان . في بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهكذا انقضى العهد النبويّ السعيد والقرآن مجموع على هذا النمط، بيد أنّه لم يُكتب تماماً في صُحف ولا رُتّب في مصاحف، بل كُتب منثوراً على الرقاع وقِطَع الأديم والقراطيس، ممّا ذكرنا .

ترتيب القرآن على عهد رسول الله

قال زيد بن ثابت : كنّا عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فألّف القرآن من الرقاع ، أي نجمعه في مكان أو في وعاء، وهكذا الصحابة قد يستنسخ بعضهم سورة أو سوَراً من القرآن، ويجعلها في وعاء كان يسمّى الصُحف ويعلّقه في بيته .. كلّ ذلك من غير مراعاة ترتيب بين السوَر كما هو الآن.

نعم ، كان التأليف آنذاك . أيّام حياته (صلّى الله عليه وآله) . عبارة عن ترتيب الآيات ضمن السوَر ، إمّا حسب النزول . كما هو الأغلب . أو حسب إرشاد النبي (صلّى الله عليه وآله) بتوقيف من جبرائيل ، كان يقول : (ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا) .

أمّا الصحابة يومذاك ، فكانوا يستنسخون القرآن حسبما تيسّر لهم في قرطاس ، أو كِتْف ، أو عَظْم ، أو نحو ذلك بالمقدار الذي يبلغهم عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أو حسبما يريدونه ، وكان الأكثر يعتمدون على حِفْظهم ، فلا يُكتب جرياً على عادة العرب في حفظ آثارها وأشعارها وخُطبها ونحو ذلك.

قال سيّدنا الطباطبائي (رحمه الله) : لم يكن القرآن مؤلّفاً في زمن النبي (صلّى الله عليه وآله) ، ولم يكن منه سوى سوَر وآيات متفرّقة في أيدي الناس.

تأليفُ القرآن

تأليف القرآن في شكله الحاضر . في نظْم آياته وترتيب سوَره، وكذلك في تشكيله وتنقيطه وتفصيله إلى أجزاء ومقاطع . لم يكن وليدَ عاملٍ واحد، ولم يكتمل في فترة الوحي الأولى، فقد مرّت عليه أدوار وأطوار، ابتدأت بالعهد

الرسالي، وانتهت بدَور توحيد المصاحف على عهد عثمان ، ثمَّ إلى عهد الخليل بن أحمد النحويّ الذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود .

وهو بحث أشبه بمعالجة قضية تاريخية مُذيّلة عن أحوال وأوضاع مرّت على هذا الكتاب السماويّ الخالد ، غير أنَّ مهمَّتنا الآن هي : العناية بدراسة القرآن من زاوية جمْعه وتأليفه مصحفاً بين دفَّتين ، والبحث عن الفترة التي حصل فيها هذا الجمْع والتأليف، وعن العوامل التي لعِبَت هذا الدَور الخطير، ومن ثمَّ سنفصّل الكلام عن القرآن في عهده الأوّل الذي لم يتجاوز نصف قرن، ثمَّ نوجز الكلام في أحوال مرّت عليه في أدوار متأخّرة ، والبحث الحاضر يكتمل في ثلاث مراحل أساسية :

أولاً : تأليف الآيات ضمن السوَر قصيرة أمْ طويلة .

ثانياً : ترتيب السوَر بين دفَّتين على صورة مصحَف كامل .

تأليف الآيات :

وأمّا تأليف الآيات ضمن كلّ سورة . **على الترتيب الموجود** . فهذا قد تحقَّق في الأكثر الساحق وفْق ترتيب نزولها ، كانت السورة **تبتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم** فتُسجّل الآيات التي تنزل بعدها من نفس هذه السورة ، واحدة تلو الأُخرى تدريجياً حسب النزول ، حتَّى تنزل بسْملة أُخرى ، فيُعرَف أنَّ السورة قد انتهت وابتدأت سورة أُخرى .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (**كان يُعرَف انقضاء سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداءَ لأخرى**).

قال ابن عباس : كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يعرِف فصْل سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ، فيعرف أنَّ السورة قد خُتمت وابتدأت سورة أُخرى.

كان كتَبة الوحي يعرفون بوجوب تسجيل الآيات ضمن السورة التي نزلت بسْمَلَتُها ، حسب ترتيب نزولها واحدة تلو الأُخرى كما تنزل ، من غير حاجة إلى تصريح خاصّ بشأن كلّ آيةٍ آية.

١ ـ هكذا ترتَّبت آيات السوَر وفْق ترتيب نزولها، على عهد الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، وهذا ما نسمّيه بـ (**الترتيب الطبيعي**) ، وهو العامل الأوّل الأساسي للترتيب الموجود بين الآيات في الأكثرية الغالبة .

والمعروف أنَّ مُصحف عليّ (**عليه السلام**) **وُضِع على دِقَّة كاملة من هذا الترتيب.**

الطبيعي للنزول ، الأمر الذي تخلَّفت عنه مصاحف سائر الصحابة ، على ما سنشير .

٢ ـ وهناك عامل آخر عمل في نظْم قِسم من الآيات على خلاف ترتيب نزولها، وذلك بنصّ من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتعيينه الخاصّ، كان يأمر . أحياناً . بثبْت آية في موضع خاصّ من سورة سابقة كانت قد خُتمت من قبْل، ولا شكَّ أنَّه (صلّى الله عليه وآله) كان يرى المناسبة القريبة بين هذه الآية النازلة والآيات التي سبَقَ نزولها، فيأمر بثبْتها معها بإذن الله تعالى .

وهذا جانب استثنائي للخروج عن ترتيب النزول، كان بحاجة إلى تصريح خاصّ : روى أحمد في مسنده عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت جالساً عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذ شخَصَ ببصره ثمّ صوّبه ، ثمّ قال : (أتاني جبرائيل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) فجُعلت في سورة النَحْل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد.

وروي أنَّ آخِر آية نزلت قولُهُ تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) فأشار جبرائيل أن توضع بين آيتي الربا والدَين من سورة البقرة .

ترتيب السوَر :

وأمّا جمْع السوَر هو ترتيبها بصورة مصحف مؤلّف بين دفّتين ، فهذا قد حصل بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) .

انقضى العهد النبوي والقرآن منثور على العُسُب ، واللِخاف ، والرقاع ، وقِطَع الأديم ، وعِظام الأكتاف والأضلاع ، وبعض الحرير والقراطيس ، وفي صدور الرجال .

كانت السوَر مكتملة على عهده (صلّى الله عليه وآله) مرتّبة آياتها وأسماؤها ، غير أنّ جمعها بين دفّتين لم يكن حصل بعد ؛ نظراً لترقّب نزول قرآن على عهده (صلّى الله عليه وآله) ، فما دام لم ينقطع الوحي لم يصحّ تأليف السوَر مصحفاً ، إلاّ بعد الاكتمال وانقطاع الوحي ، الأمر الذي لم يكن يتحقّق إلاّ بانقضاء عهد النبوّة واكتمال الوحي .

قال جلال الدين السيوطي : كان القرآن كُتب كلّه في عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السوَر .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) : يا عليّ ، القرآن خلف فراشي في الصحُف والحرير والقراطيس ، فخُذوه واجمَعوه ولا تضيّعوه).

وأوّل مَن قام بجمْع القرآن بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) مباشرة وبوصيّة منه هو : الإمام عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، ثمّ قام بجمْعه زيد بن ثابت بأمرٍ من أبي بكر ، كما قام بجمْعه كلّ من : ابن مسعود ، وأُبَي بن كعب ، وأبي موسى الأشعري وغيرهم ، حتّى انتهى الأمر إلى دَور عثمان ، فقام بتوحيد المصاحف وإرسال نُسَخ موحّدة إلى أطراف البلاد ، وحمل الناس على قراءتها وترْك ما سواها .

كان جمعُ عليّ (عليه السلام) وفْق ترتيب النزول : المكّي مقدّم على المدَني ، والمنسوخ مقدّم على الناسخ ، مع الإشارة إلى مواقع نزولها ومناسبات النزول .

قال الكلبي : لمّا توفّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قعد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في بيته ، فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وُجِد مصحفُه لكان فيه عِلمٌ كبير.

وقال عكرمة : لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلّفوه كتأليف عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، ما استطاعوا .

وأمّا جمْع غيره من الصحابة فكان على ترتيب آخر : قدّموا السوَر الطوال على القِصار ، فقد أثبتوا السبْع الطوال : (البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، يونس) قبل المئين : (الأنفال ، براءة ، النحل ، هود ، يوسف ، الكهف ، الإسراء ، الأنبياء ، طه ، المؤمنون ، الشعراء ، الصافّات) ، ثمّ المثاني : (هي التي تقلّ آياتها عن مئة ، وهي عشرون سورة تقريباً) ، ثمّ الحواميم : (السور التي افتُتحت بـ حم) ، ثمّ المفصّلات : (ذوات الآيات القِصار) لكثرة فواصلها ، وهي السوَر الأخيرة في القرآن .

وهذا يقرب نوعاً ما من الترتيب الموجود الآن . على ما سيأتي . .

نعم ، لم يكن جمْع زيد مرتّباً ولا منتظماً كمُصحف، وإنّما كان الاهتمام في ذلك الوقت على جمع القرآن عن الضياع، وضبط آياته وسوَره حذراً عن التلف بموت حامليه، فدوّنت في صُحف وجُعلت في إضبارة ، وأُودعت عند أبي بكر مدّة حياته ، ثمّ عند عُمَر بن الخطّاب حتّى توفّاه الله ، فصارت عند ابنته حفْصة ، وهي النُسخة التي أخذها عثمان لمقابلة المصاحف عليها ، ثمّ ردّها عليها ، وكانت عندها إلى أن ماتت ، فاستلبها مروان من ورثتها حينما كان والياً على المدينة من قبل معاوية ، فأمَر بها فشُقّت ، وسنذكر كلّ ذلك بتفصيل .

تمحيص الرأي المعارض :

ما قدّمنا هو المعروف عن رواة الآثار، وعند الباحثين عن شؤون القرآن ، منذ الصدر الأوّل فإلى يومنا هذا ، ويوشك أن يتّفق عليه كلمة أرباب السِيَر والتواريخ ، ولكن مع ذلك نجد مَن ينكر ذاك التفصيل في جمع القرآن ، ويرى أنّ القرآن بنظْمه القائم وترتيبه الحاضر ، كان قد حصل في حياة الرسول (صلّى الله عليه وآله) .

وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من علماء السلَف : كالقاضي ، وابن الأنباري ، والكرماني ، والطيّبي، ووافقهم عَلَم الهدى السيّد المرتضى (قدّس سرّه)، قال : كان القرآن على عهده (صلّى الله عليه وآله) مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن، واستدلّ على ذلك : بأنّ القرآن كان يُدَرّس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عُيّن جماعة من الصحابة في حفظِهم له، وأنّه كان يُعرَض على النبي (صلّى الله عليه وآله) ويُتلى عليه ، وأنّ جماعة من الصحابة مثل : عبد الله بن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، وغيرهما ختموا القرآن على النبي . (صلّى الله عليه وآله) . عدّة ختْمات ، وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ولا مبثوث.

لكن حِفظ القرآن : هو بمعنى حِفظ جميع سوَره التي اكتملت آياتها ، سواء أكان بين السوَر ترتيب أمْ لا ، وهكذا ختمُ القرآن : هو بمعنى قراءة جميع سوَره من غير لحاظ ترتيب خاصّ بينها ، أو الحِفظ كان بمعنى الاحتفاظ على جميع القرآن

النازل لحدّ ذاك ، والتحفّظ عليه دون الضياع والتفرقة ، الأمر الذي لا يدلّ على وجود ترتيب خاصّ كان بين سوَره كما هو الآن .

هذا ، وقد ذهب إلى ترجيح هذا الرأي أيضاً سيدّنا الأستاذ الإمام الخوئي (رحمه الله) نظراً إلى الأمور التالية :

أوّلاً : أحاديث جمْع القرآن بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) بنفسها متناقضة ، تتضارب مع بعضها البعض ، ففي بعضها تحديد زمن الجمع بعهد أبي بكر ، وفي آخر بعهد عمَر ، وفي ثالث بعهد عثمان ، كما أنّ البعض ينصّ على أنّ أوّل مَن جمَع القرآن هو زيد بن ثابت ، وآخر ينصّ على أنّه أبو بكر ، وفي ثالث أنّه عمَر ، إلى أمثال ذلك من تناقضات ظاهرة .

ثانياً : معارضتها بأحاديث دلّت على أنّ القرآن كان قد جُمع على عهده (صلّى الله عليه وآله) ، منها حديث الشعبي ، قال : جَمَع القرآن على عهده ستّة : أُبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد . وفي حديث أنس أنّهم أربعة : أُبَي ، ومعاذ ، وزيد ، وأبو زيد ، وأمثال ذلك .

ثالثاً : منافاتها مع آيات التحدّي ، التي هي دالّة على اكتمال سوَر القرآن وتمايز بعضها عن بعض ، ومنافية أيضاً مع إطلاق لفظ الكتاب على القرآن في لسانه (صلّى الله عليه وآله) ، الظاهر في كونه مؤلّفاً كتاباً مجموعاً بين دفّتين .

رابعاً : مخالفة ذلك مع حُكم العقل بوجوب اهتمام النبي (صلّى الله عليه وآله) بجمْعه وضبطه عن الضياع والإهمال .

خامساً : مخالفته مع إجماع المسلمين ، حيث يعتبرون النصّ القرآني متواتراً عن النبيّ نفسه ، في حين أنّ بعض هذه الروايات تشير إلى اكتفاء الجامعين بعد الرسول (صلّى الله عليه وآله) بشهادة رجُلين أو رجُل واحد ! .

سادساً : استلزام ذلك تحريفاً في نصوص الكتاب العزيز ، حيث طبيعة الجمْع المتأخّر تستدعي وقوع نقص أو زيادة في القرآن ، وهذا مخالف لضرورة الدين.

وقد سبَق اتّفاق كلمة المؤرّخين ، ونصوص أرباب السِيَر وأخبار الأمم ، ووافقهم أصحاب الحديث طرّاً ، على أنّ ترتيب السوَر شيء حصل بعد وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، ولم يكن بالترتيب الذي نزلتْ عليه السوَر .

وبعد ، فلا نرى أيّ مناقضة بين روايات جمْع القرآن ، إذ لا شكّ أنّ عمَر هو الذي أشار على أبي بكر بجمْع القرآن ، وهذا الأخير أمَر زيداً أن يتصدّى القضية من قِبَلِه ، فيصحّ إسناد الجمْع الأوّل إلى كلّ من الثلاثة بهذا الاعتبار .

نعم ، نسبة الجمْع إلى عثمان كانت باعتبار توحيده للمصاحف ونسْخها في صورة موحّدة ، وأمّا نسبة توحيد المصاحف إلى عُمَر فهو من اشتباه الراوي قطعاً ؛ لأنّ الذي فعَل ذلك هو عثمان بإجماع المؤرّخين .

واهتمام النبي (صلّى الله عليه وآله) بشأن القرآن ، شيء لا ينكَر ، ومن ثمّ كان حريصاً على تثبّت الآيات ضمن سوَرها فور نزولها ، وقد حصل النَظْم بين آيات كلّ سورة في حياته (صلّى الله عليه وآله) .

أمّا الجمْع بين السوَر وترتيبها كمصحف موحّد فلم يحصل حينذاك ؛ نظراً لترقّب نزول قرآن عليه ، فما لم ينقطع الوحي لا يصحّ جمع القرآن بين دفّتين ككتاب ، ومن ثمّ لمّا أيقن بانقطاع الوحي بوفاته (صلّى الله عليه وآله) أوصى إلى عليّ (عليه السلام) بجمْعه .

جمعُ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) :

أوّل مَن تصدّى لجمْع القرآن بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) مباشرة وبوصيّةٍ منه هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، قعَد في بيته مشتغلاً بجمْع القرآن وترتيبه على ما نزل ، مع شروح وتفاسير لمواضع مبهمة من الآيات ، وبيان أسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل حتّى أكمله على هذا النمط البديع .

قال ابن النديم . بسندٍ يذكره . : إنّ عليّاً (عليه السلام) رأى من الناس طَيرة عند وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) ، فأقسَم أن لا يضع رداءه حتّى يجمَع القرآن ، فجلس في بيته ثلاثة أيّام حتّى جمَع القرآن ، فهو أوّل مُصحف جمع فيه القرآن من قلْبه ، وكان هذا المصحف عند آل جعفر .

قال : ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني (رحمه الله) مصحفاً قد سقط منه أوراق ، بخطّ عليّ بن أبي طالب ، يتوارثه بنو حسَن.

قال ابن سيرين : تطلّبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة ، فلم أقدر عليه (٥) .

قال ابن جزي الكلبي : كان القرآن على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مفرّقاً في الصحُف وفي صدور الرجال ، فلمّا توفّي جَمَعه عليّ بن أبي طالب على ترتيب نزوله ، ولو وجد مصحفه لكان فيه عِلم كبير .

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : **(ما من أحد من الناس يقول إنّه جَمع القرآن كلّه كما أنزل الله إلاّ كذّاب ، وما جمَعه وما حَفظه كما أنزل الله إلاّ عليّ بن أبي طالب).**

قال الشيخ المفيد . في المسائل السروية . : وقد جمَع أمير المؤمنين (عليه السلام) القرآن المُنزّل من أوّله إلى آخره ، وألّفه بحسَب ما وجب تأليفه ، فقدّم المكّي على المدَني ، والمنسوخ على الناسخ ، ووضع كلّ شيء منه في حقّه.

قال ابن حجر : وقد ورد أنّ عليّاً جمَع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي (صلّى الله عليه وآله) . أخرجه ابن أبي داود.

وصفُ مُصحف عليّ (عليه السلام)

امتاز مُصحفه (عليه السلام) :

أوّلاً : بترتيبه الموضوع على ترتيب النزول ، الأوّل فالأوّل في دِقّة فائقة .

ثانياً : إثبات نصوص الكتاب كما هي من غير تحوير أو تغيير ، أو أن تشذّ منه كلمة أو آية .

ثالثاً : إثبات قراءته كما قرأه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حرْفاً بحَرْف .

رابعاً : اشتماله على توضيحات . على الهامش طبعاً . وبيان المناسَبة التي استدعَت نزول الآية ، والمكان الذي نزلت فيه ، والساعة التي نزلت فيها ، والأشخاص الذين نزلت فيهم .

خامساً : اشتماله على الجوانب العامّة من الآيات ، بحيث لا تخصّ زماناً ولا مكاناً ولا شخصاً خاصّاً ، فهي تجري كما تجري الشمس والقمر . وهذا هو المقصود من التأويل في قوله (عليه السلام) : (**ولقد جئتُهم بالكتاب مشتملاً على التنزيل والتأويل**).

فالتنزيل هو : المناسَبة الوقتية التي استدعَت النزول ، **والتأويل هو** : بيان المجرى العامّ .

كان مصحف عليّ (عليه السلام) مشتملاً على كلّ هذه الدقائق التي أخذَها عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، من غير أن ينسى منها شيئاً أو يشتبه عليه شيء .

وعن الأصبغ بن نباتة ، قال : قَدِم أمير المؤمنين (عليه السلام) الكوفة ، صلّى بهم أربعين صباحاً يقرأ بهم (سبّح اسم ربّك الأعلى) ، فقال المنافقون : لا والله ما يُحسن ابن أبي طالب أن يقرأ القرآن ، ولو أحسن أن يقرأ القرآن لقرأ بنا غير هذه السورة ! قال : فبلَغ ذلك عليّاً (عليه السلام) فقال : (**ويلٌ لهم ، إنّي لأعرفُ ناسِخه من منسوخه ، ومحكَمه من متشابهه ، وفصْله من فِصاله ، وحروفه من معانيه ، والله ما من حرفٍ نزل على محمّد (صلّى الله عليه وآله) إلاّ أنّي أعرف فيمن أُنزل ، وفي أيّ يوم وفي أيّ موضع ، ويلٌ لهم أما يقرأون : (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)؟ والله عندي ، ورثتهما من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وقد أنهى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من إبراهيم وموسى (عليهما السلام) ، ويلٌ لهم والله أنا الذي أنزل الله فيّ : (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)، فإنّما كنّا عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيُخبرنا بالوحي فأعيَه أنا ومَن يعيَه ، فإذا خرجنا قالوا : ماذا قال آنفاً ؟**).

وأمّا مصحف عليّ (عليه السلام) ، فقد روى سُليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي رضوان الله عليه قال : لمّا رأى أمير المؤمنين صلوات الله عليه غدْر الناس به لزم بيته ، وأقبل على القرآن يؤلّفه ويجمعه ، فلم يخرج من بيته حتّى جمَعه ، وكان في الصحُف ، والشظاظ ، والاسْار ، والرقاع.

وبعث القوم إليه ليبايع فاعتذر باشتغاله بجمْع القرآن ، فسكتوا عنه أيّاماً حتّى جمعه في ثوب واحد وختَمه ، ثمّ خرج إلى الناس . وفي رواية اليعقوبي : حمَلهُ على جَمَل وأتى به إلى القوم وهم مجتمعون حول أبي بكر في المسجد

لماذا اختار الامام ترتيب النزول عند جمع القرآن؟

، وخاطبهم قائلاً : (إنّي لم أزل منذ قُبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مشغولاً بغُسله وتجهيزه ، ثمّ بالقرآن حتّى جمَعته كلّه في هذا الثوب الواحد ، ولم ينزل الله على نبيّه آية من القرآن إلاّ وقد جمعتها ، وليس منه آية إلاّ وقد أقرأنيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعلّمني تأويلها ؛ لئلاّ تقولوا غداً : (إنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ)) ! .

فقام إليه رجُل من كِبار القوم . وفي روايةِ أبي ذر : فنظر فيه فلان وإذا فيه أشياء (٢) . فقال : يا عليّ ، اردُده فلا حاجة لنا فيه ، ما أغنانا بما معَنا من القرآن عمّا تدعونا إليه ، فدخل عليّ (عليه السلام) بيته (٣) .

وفي رواية : قال علي (عليه السلام) : (أمَا والله ، ما ترَونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنّما كان عَليّ أن أخبركم حين جمعتُه لتقرأوه).

وقد تقدّم كلام ابن النديم : كان مصحف عليّ يتوارثه بنو الحسن ، والصحيح عندنا : أنّ مصحفه (عليه السلام) يتوارثه أوصياؤه الأئمّة من بعده ، واحداً بعد واحد لا يُرونه لأحد.

وفي عهد عثمان . حيث اختلفت المصاحف وأثارت ضجّة بين المسلمين . سأل طلحة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، لو يُخرج للناس مصحفه الذي جمعَه بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأتى به إلى القوم فرفضوه ، قال : وما يمنعك يرحمك الله أن تُخرج كتاب الله إلى الناس ؟! فكفّ (عليه السلام) عن الجواب أوّلاً ، فكرّر طلحة السؤال فقال : لا ، أراك يا أبا الحسن أجبتني عمّا سألتك من أمْر القرآن أن لا تظهره للناس ؟ .

قال (عليه السلام) : (يا طلحة ، عمداً كففتُ على جوابك ، فأخبرني عمّا كتَبه القوم أقرآن كلّه أمْ فيه ما ليس بقرآن ؟ قال طلحة : بل قرآن كلّه ، قال (عليه السلام) : إن أخذتم بما فيه نجَوتم من النار ودخلتم الجنّة ...) . قال طلحة : حَسبي ، أمّا إذا كان قرآناً فحَسبي .

هكذا حرص الإمام وأوصياؤه (عليهم السلام) على حِفظ وحدة الأمّة ، فلا تختلف بعد اجتماعها على ما هو قرآن كلّه .

جمْعُ زيد بن ثابت

كان ذاك الرفْض القاسي لمصحف عليّ (عليه السلام) يستدعي التفكير في القيام بمهمّة جمْع القرآن مهما كلّف الأمر ، بعد أن أحسّ الناس بضرورة جمْع القرآن في مكان ، ولاسيّما كانت وصيّة نبيّهم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بجمْعه ؛ لئلاّ يضيع ، كما ضيّعت اليهود تَوراتهم.

هذا ، والقرآن هو المرجع الأوّل للتشريع الإسلامي ، والأساس الركين لبناية صرح الحياة الاجتماعية في كافّة شؤونها المختلفة آنذاك ، ولا يصحّ أن يبقى مفرّقاً على العُسُب واللِخاف أو في صدور الرجال ، ولاسيّما وقد استحرّ القتل بكثير من حامِليه ، ويوشك أن يذهب القرآن بذهاب حامِليه ، فقد قتل منهم سبعون في واقعة اليمامة ، وفي رواية : أربعمئة.

وهذه الفكرة أبداها عمر بن الخطّاب ، واقترح على أبي بكر . وهو وليّ المسلمين يوم ذاك . أن ينتدب لذلك مَن تتوفّر فيه شرائط القيام بهذه المهمّة الخطيرة ، فوقع اختيارهم على زيد بن ثابت ، وهو شابّ حدَث فيه مرونة حداثة السِنّ ، وله سابقة كتابة الوحي أيضاً ، فقد مَلك الجدارة الذاتية من غير أن يُخشى منه على جوانب الخلافة الفتيّة في شيء ، كما كان يُخشى من غيره من كِبار الصحابة ، وفيهم شيء من المناعة والجموح وعدم الانقياد التامّ لميول السلطة واتّجاهاتها آنذاك .

قال زيد : أرسلَ إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة . وعُمَر جالس عنده . قال : إنّ هذا . وأشار إلى عُمَر . أتاني وقال : إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقُرّاء القرآن ، وأخاف أن يستحرّ بهم القتْل في سائر المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وأشار عليّ بجمْع القرآن ، فقلت لعُمَر : كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني عُمَر حتّى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت الذي رأى عُمَر ! .

قال زيد : قال لي أبو بكر : إنّك شابٌّ عاقل لا نتّهمُك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فتتبَّع القرآن واجمعهُ .

قال زيد : فو الله لو كلّفوني نقل جبَل من مكانه لم يكن أثقل عليّ ممّا كلّفوني به ، قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؟ فلم يزل أبو بكر وعُمَر يلحَان عليّ حتّى شرح الله صدري للّذي شرح له صدر أبي بكر و عُمَر . قال زيد : فقمت أتتبّع القرآن أجمعه من العُسُب ، واللِخاف ، وصدور الرجال.

منهجُ زيد في جمْع القرآن

أ ـ قام زيد بتنفيذ الفكرة ، فجمَع القرآن من العسُب ، واللِخاف ، والأدم ، والقراطيس ، وكانت متفرّقة على أيدي الصحابة أو في صدورهم ، وعاوَنه على ذلك جماعة.

وأوّل عمل قام به أن وجّه نداءً عاماً إلى مَلأ الناس : مَن كان تلقّى من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) شيئاً من القرآن فليأتِ به .

وألّف لِجنة من خمسة وعشرين عضواً . كما جاء في رواية اليعقوبي . وكان عُمَر يُشرف عليهم بنفسه .

وكان اجتماعهم على باب المسجد يومياً ، والناس يأتونهم بآي القرآن وسوَره ، كلٌّ حسَب ما عنده من القرآن .

وكانوا لا يقبلون من أحد شيئاً حتّى يأتي بشاهدَين يشهدان بصحّة ما عنده من قرآن ، سوى خزيمة بن ثابت أتى بآيتَي آخِر سورة براءة ، فقبلوهما منه من غير استشهاد ؛ لأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اعتبر شهادته وحدَه شهادتين.

قال زيد : ووجدت آخِر سورة براءة مع [أبي] خزيمة الأنصاري ، لم أجده مع أحد غيره .

وقال ابن حجر : (والفرق بين الصحُف . التي جاءت في رواية جمْع زيد . والمصحف : أنَّ الصحُف هي الأوراق المجرّدة التي جُمع فيها القرآن في عهد أبي بكر ، وكانت سوَراً مفرّقة ، كلُّ سورة مرتّبة بآياتها على حدة ، لكن لم يرتّب بعضها إثر بعض ، فلمّا نُسخت ورتّب بعضها إثر بعض صارت مصحفاً).

وهذه الصحُف أُودِعت عند أبي بكر ، فكانت عنده مدّة حياته ، ثمّ صارت عند عمَر ، وبعده كانت عند ابنته حفصة ، وفي أيّام توحيد المصاحف استعارها عثمان منها ليقابل بها النُسَخ ، ثمّ ردّها إليها ، فلمّا توفّيت أخذَها مروان . يوم كان والياً على المدينة من قبل معاوية . من ورثتها وأمرَ بها فشُقّت.

وسؤال آخر : ماذا كان يعني بالشاهدَين في جَعلهما شرط قبول النصّ القرآني ، كما جاء في نصّ ابن داود بإسناد معتبَر ، وتلقّته أئمّة الفنّ بالقبول ؟

قال ابن حجر : (وكأنَّ المراد بالشاهدَين : الحفظ والكتابة).

وقال السخاوي : شاهدان يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كُتب بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، أو المراد أنّهما يشهدان بصحّة قراءتها ، وأنّها من الوجوه التي نزل بها القرآن .

شكوك واعتراضات :

يقول بلاشير : لماذا اختار أبو بكر لهذه المهمّة الخطيرة مثل زيد ، وهو شابّ حدَث لم يتجاوز العشرين ، في حين وجود ذوي الكفاءات من كبار الصحابة ؟ ولنفرض عكورة المورد حالت دون اللجوء الى شخصيّة كبيرة مثل عليّ بن أبي طالب ، فلماذا أغفلوا سائر فُضلاء الصحابة ممّن لهم سابقة وعهد قديم بنزول القرآن وصُحبة الرسول ؟ وهل أنّ واقعة اليمامة أطاحت بجميع قرّاء الصحابة القدامى ، ولم يبقَ سوى زيد وهو حديث العهد بالقراءة وبالقرآن ؟ الأمر الذي يثير شكوكنا في القضية ، ولا نكاد نصدّق بأنّ زيداً هو الذي جمَع القرآن .

أضِف إلى ذلك : أنّ التاريخ لم يحدّد بالضبط بدْء قيامه بهذا العمل ، ومتى انتهى منه ، فلو صحّ أنّه قام بجمع القرآن بعد واقعة اليمامة ؛ لكان بقيَ من عُمُر أبي بكر خمسة عشر شهراً ، وهذه فترة تضيق بإنجاز هكذا عمل خطير ، الذي يتطلّب جهوداً واسعة لجمْع المصادر والالتقاء مع رجال كانت عندهم آيات أو سوَر ، وكانوا قد انتشروا في البلاد ، فإنّ هذا وذاك يتطلّبان وقتاً أوسع وأعواناً كثيرين ، ممّا لا يمكن إنجازه في تلك المدّة القصيرة .

هذا والرواية تقول : إنّ زيداً جمَع القرآن في صحُف وأودَعها عند أبي بكر ، ثمّ صارت عند عُمَر ، ثمّ ورثتها ابنته حفصة ! .

فإذا كانت الغاية من جمْع القرآن هي ملاحظة المصلحة العامّة . كما ينبّه على ذلك أنّ ورثة أبي بكر لم يختصّوا بتلك الصحُف ، وإنّما انتقلت إلى عُمَر ، الخليفة بعده . فلماذا خصّصها عُمَر بابنته حفصة ولم يجعلها في متناول المسلمين عامّاً ؟ كما أنّه لِمَ صارت الصحُف وديعة اختصاصية عند أبي بكر من غير أن تُجعَل في مكان هو معرَض عام ؟ .

وهكذا اعترض المستشرق شفالي على قضيّة جمْع زيد للقرآن .

مصاحف أخرى :

في الفترة بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) ، قامت جماعة من كبار الصحابة بتأليف القرآن وجمع سوَره بين دفّتين ، كلّ بنظمٍ وترتيب خاصّ ، وكان يسمّى (مصحفاً) .

يقال : أوّل مَن جمَع القرآن في مُصحف . أي رتّب سوَره ككتاب منظّم . هو : **سالم مولى أبي حذيفة** ، فائتمروا في ما يسمّونه ؟ فقال بعضهم : سمّوه السِفر ، فقال سالم : ذلك تسمية اليهود ، فكرهوه ، فقال : رأيت مثله في الحبشة يسمّى (المصحف) ، فاجتمع رأيهم على أن يسمّوه (**المصحف**) .

وهكذا قام بجمع القرآن : ابن مسعود ، وأُبي بن كعب ، وأبو موسى الأشعري، والمقداد بن الأسود ، ومعاذ بن جبل .

وحاز بعض هذه المصاحف مقاماً رفيعاً في المجتمع الإسلامي آنذاك ، فكان أهل الكوفة يقرأون على مصحف عبد الله بن مسعود ، وأهل البصرة يقرأون على مصحف أبي موسى الأشعري ، وأهل الشام على مصحف أُبي بن كعب ، وأهل دمشق خاصّة على مصحف المقداد بن الأسود ، وفي رواية الكامل : إنّ أهل حمص كانوا على قراءة المقداد.

أمَدُ هذه المصاحف

كان أمَدُ هذه المصاحف قصيراً جدّاً ، انتهى بدَور توحيد المصاحف على عهد عثمان ، فذهبت مصاحف الصحابة عُرضة التمزيق والحرْق .

قال أنس بن مالك : أرسل عثمان إلى كلّ أُفقٍ بمصحف ممّا نسَخوا ، وأمَر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يُحرَق.

نعم ، حظِيت بعض هذه المصاحف عُمْراً أطول ، كالصُحف التي كانت عند حفصة ، طلبها عثمان ليقابل بها نُسَخ المصاحف ، فأبت أن تدفعها إليه حتّى عاهدها ليردّنّها عليها ، ومن ثمّ ردّها وبقيت عندها حتّى توفّيت ، فأمر بها مروان فشُقّت .

وصفٌ عامٌّ عن مصاحف الصحابة :

كان الطابع العامّ الذي كانت المصاحف آنذاك تتّسم به هو : تقديم السوَر الطوال على القِصار نوعاً ما في ترتيب منهجيّ خاصّ :

١ . ابتداء من السبْع الطوال : البقرة ، آل عمران ، النساء ، الأعراف ، الأنعام ، المائدة ، يونس .

٢ . ثمّ المئين : وهي السوَر تربو آياتها على المئة ، وهي ما تقرب اثنتي عشرة سورة .

٣ . ثمّ المثاني : وهي السوَر لا تبلغ آياتها المئة ، وهي ما تقرب عشرين سورة ، وسمّيت مثاني ؛ لأنّها تُثنّى ، أي تكرّر قراءتها أكثر ممّا تقرأ غيرها من الطوال والمئين .

٤ . ثمّ الحواميم : وهي السور بُدئت بـ (حم) ، سبْع سوَر .

٥ . ثمّ الممتحنات : وهي تقرب من عشرين سورة .

٦ . ثمّ المفصّلات : تُبتدأ من سورة الرحمن إلى آخر القرآن .

وسمّيت بذلك لقُرب فواصلها وكثرة فصولها .

هذا هو الطابع العامّ لمصاحف الصحابة ، والنظر في الأكثر إلى مصحف ابن مسعود ، وإن كانت المصاحف تختلف مع بعضها في تقديم بعض السوَر على بعض وتأخيرها عنها ، أو يزيد عدد سوَر بعضها على بعض ، على تفصيل يأتي .

حقائق عن علوم القرآن